التضليل الإعلاميّ في زمن الأنبياء عليهم السلام
دراسة قرآنيّة في سُبُل المواجهة -

◆ د. الشيخ لبنان حسين الزين[1]

■ **خلاصة**

يتناولُ هذا البحثُ التضليلَ الإعلاميَّ في سياقِ صراعِ الحقِّ والباطلِ عبرَ التاريخِ والواقعِ، ويتوقّفُ عندَ أخطرِ مظاهرِهِ في زمنِ الأنبياء عليهم السلام؛ حيثُ ظهرَ التضليلُ الإعلاميُّ الشيطانيُّ لأهلِ الباطلِ، بالوسوسةِ، والنزغِ، والتزييفِ، والتشويهِ، والتمويهِ، للحقائقِ؛ مكرًا وخداعًا وتسويلًا، بأساليبَ ووسائلَ وطرقٍ مختلفة، توسّلَها شياطينُ الإنسِ والجنِّ عبرَ ضخٍّ إعلاميٍّ كبيرٍ، لحرفِ الناسِ وصرفِهم عن الحقِّ، وإبقائِهم في غياهبِ الجهلِ، والتخلّفِ، والرجعيّةِ، والانحطاطِ، والسفالة!

وقد عملَ الأنبياءُ عليهم السلام في صراعِ الحقِّ معَ الباطلِ على توعيةِ الناسِ وتبصيرِهم بالحقيقةِ، من خلالِ مواجهةِ التضليلِ الإعلاميِّ لأهلِ الباطلِ؛ بالحكمةِ والبرهانِ والبصيرةِ والوعي.

وقد تعرّضَ البحثُ لتجارب عددٍ من الأنبياء عليهم السلام الذين حكى القرآنُ الكريمُ مواجهتَهم التضليلَ الإعلاميَّ لأقوامِهم؛ وهمُ الأنبياءُ: نوحٌ عليه السلام، وهودٌ عليه السلام، وصالحٌ عليه السلام، وموسى عليه السلام، والنبيُّ محمّدٌ صلى الله عليه وآله وسلم.

الكلمات المفتاحية: التضليلُ الإعلاميُّ، الأنبياءُ، نوحٌ عليه السلام، هودٌ عليه السلام، صالحٌ عليه السلام، موسى عليه السلام، محمّدٌ صلى الله عليه وآله وسلم، الملأُ.

١ - أستاذ في الحوزة العلميّة، وباحث وكاتب في الدراسات الإسلاميّة والقرآنيّة - لبنان.

مقدّمة

التضليلُ من ضلَّ؛ وهو في اللغةِ بمعنى ذَهابِ الشيءِ على غيرِ وجهِ حقِّه، وهو عبارةٌ عن بثِّ معلوماتٍ خاطئةٍ أو كاذبةٍ ونشرِها قصدًا وعمدًا لخداعِ الآخرِ؛ بهدفِ تزييفِ الحقائقِ وصرفِ الإنسانِ عنها[1]. والتضليلُ الإعلاميُّ مصطلحٌ معاصرٌ في الأدبياتِ الاجتماعيّةِ والسياسيّةِ[2]، لكنَّه يضربُ بجذورِه في عُمقِ التاريخِ الإنسانيِّ، في مشهديّةِ صراعِ الحقِّ والباطلِ: ﴿**قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ**﴾ [الحجر: ٣٩-٤٠]، ولا سيَّما في زمنِ الأنبياءِ عليهم السلام والمرسلين عليهم السلام، على ما يكشفُ عنه القرآنُ الكريمُ: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ * وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ**﴾ [الأنعام: ١١٢-١١٣].

فالتضليلُ الإعلاميُّ الشيطانيُّ لأهلِ الباطلِ بالوسوسةِ، والنزغِ والتزييفِ، والتشويهِ، والتمويهِ للحقائقِ؛ مكرًا وخداعًا وتسويلًا، لم يخلُ منه أهلُ زمنِ نبيٍّ من الأنبياءِ عليهم السلام؛ بأساليبَ ووسائلَ وطرقٍ مختلفةٍ توسَّلَها شياطينُ الإنسِ والجنِّ، عبرَ ضخٍّ إعلاميٍّ كبيرٍ لحرفِ الناسِ وصرفِهم عن الحقِّ، وإبقائِهم في غياهبِ الجهلِ، والتخلّفِ، والرجعيّةِ، والانحطاطِ، والسفالةِ!

١ - انظر: فرانسوا جيريه: قاموس التضليل الإعلامي، ص٤٣؛ عبد الرزاق الديلمي: الدعاية والإرهاب، ص٩٤؛ محمد عبد القادر: الإعلام والدعاية.. نظريات وتجارب، ص٤٢.

٢ - هيربرت شيلر: المتلاعبون بالعقول، ص. ص ٣٩-٤٦.

وشياطينُ الإنسِ والجنِّ، في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، يعتمدونَ أساليبَ إبليسَ اللعينِ الملتويةَ والمنحرفةَ، وطرقهُ الإعلاميّةَ الخادعةَ والمزيّفةَ، ووسائلَهُ المضلِّلةَ والمشوِّهةَ، لاستعبادِ الشعوبِ وإحكامِ سيطرتِهم عليها؛ بتزيينِ الباطلِ وتشويهِ الحقِّ، وقلبِ المفاهيم والقيمِ، وتخديرِ العقولِ، وإحباطِ العزائمِ والهممِ، عبرَ جيشٍ من الأبالسةِ الشياطينِ الذينَ يمتهنونَ التضليلَ الإعلاميَّ، وينفذونَ إلى نفوسِ الناسِ من مواطن ضعفِها، وخوائِها المعرفيِّ والعقديِّ والقيميِّ... فينقادُ لهمُ الأغبياءُ والبسطاءُ، ويقعونَ في شراكِهم المضلِّلةِ والخبيثةِ: ﴿**وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ**﴾ [الأنعام: ١١٣]. لكنَّ مكائدَهم وتضليلَهم الإعلاميَّ لا ينطلي على أصحابِ الفطرِ والعقولِ السليمةِ: ﴿**فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ**﴾ [الأنعام: ١١٢].

وقد عملَ الأنبياءُ عليهم السلام في صراعِ الحقِّ معَ الباطلِ على توعيةِ الناسِ وتبصيرِهم بالحقيقةِ، من خلالِ مواجهةِ التضليلِ الإعلاميِّ لأهلِ الباطلِ، ولذلكَ تعرَّضوا لهجومٍ عنيفٍ من أهلِ الباطلِ؛ بهدفِ صرفِ الناسِ عنهم، وتحطيمِهم معنويًّا في أعينِ الناسِ. فما كانَ من الأنبياءِ عليهم السلام إلّا أن واجهوا هذا التضليلَ الإعلاميَّ بأسلوبٍ إلهيٍّ ربّانيٍّ، قوامُهُ إقامةُ الحجّةِ والدليلِ، والموعظة الحسنة، والجدالُ والدفعُ بالأحسنِ: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾ [النحل: ١٢٥]، مفنّدينَ بذلكَ تُهمَهم، ومدحضينَ شبهاتِهم، ومبطلينَ افتراءاتِهم، ومبصِّرينَ الناسَ من خداعِهم، ومحصّنينَ لهم من الوقوعِ في شباكِ تضليلِهم الإعلاميِّ المقيتِ!

أوّلًا: التضليلُ الإعلاميُّ في زمنِ النبيِّ نوحٍ عليه السلام:

كشفَ القرآنُ الكريمُ عن معالمِ السيرةِ الدعويّةِ للنبيِّ نوحٍ عليه السلام؛ حيثُ استمرَّ في دعوةِ قومِه ألفَ سنةٍ إلّا خمسينَ عامًا: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ**﴾ [العنكبوت: ١٤]، فبالغَ في نصحِهم ووعظِهم: ﴿**أُبَلِّغُكُمْ**

رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٦٢]، وأتمَّ الحجّةَ عليهم بالتبشيرِ والإنذارِ: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩].

١- موقفُ قومِ النبيِّ نوحٍ عليه السلام من دعوته:

أعرضَ قومُ النبيِّ نوحٍ عليه السلام، ولا سيَّما الملأُ منهم، عن دعوته الحقّةِ وأنكروها: ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [إبراهيم: ٩]. واسترسلوا في الجحودِ والضلالِ والإضلالِ والمكرِ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى﴾ [النجم: ٥٢]. وقاموا بالسخريةِ منه: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ [هود: ٣٨]، وتهديدِه بالقتلِ رجمًا: ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء: ١١٦].

٢- التضليلُ الإعلاميُّ لقومِ النبيِّ نوحٍ عليه السلام:

كالَ الملأُ من قومِ النبيِّ نوحٍ عليه السلام لهُ صنوفَ التُّهَمِ الباطلةِ والمزيّفةِ، وأثاروا الشكوكَ حولَهُ حتّى ينفضَّ الناسُ من حولِه، متَّبعينَ بذلك سياسةَ التضليلِ الإعلاميِّ لتعميةِ الحقيقةِ عن الناسِ وصرفِهم عنها، من خلالِ محاولةِ تشويهِ صورةِ النبيِّ نوحٍ عليه السلام النفسيّةِ والفكريّةِ والاجتماعيّةِ في أعينِ الناسِ، وتسفيهِ ما جاءَ بهِ من دينٍ حقٍّ، بهِ قِوامُ الإنسانِ وصلاحُهُ وفلاحُهُ. ومن هذهِ التُّهَمِ والشكوكِ:

أ. دعوى ضلالتِه وانحرافِه: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الأعراف: ٦٠].

ب. دعوى إصابتِه بالجنونِ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ﴾ [المؤمنون: ٢٥].

ج. اتّهامُه بطلبِ الجاهِ والمالِ والرئاسة: ﴿**فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ**﴾ [المؤمنون: ٢٤].

د. التشكيكُ بنبوّته واتّصاله بعالمِ الغيبِ، بعدمِ الفضلِ والامتيازِ لهُ عليهم؛ لأنَّه بشرٌ مثلُهم: ﴿**فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا... وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ**﴾ [هود: ٢٧].

ه. اتّهامُه بالكذبِ والافتراءِ: ﴿**بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ**﴾ [هود: ٢٧].

و. التشكيكُ في صوابيّةِ دعوتِه؛ بأنَّ أتباعَهُ من العوامِّ ضعافِ الرأيِ: ﴿**وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ**﴾ [هود: ٢٧].

٣- سُبُلُ مواجهةِ النبيِّ نوحٍ عليه السلام للتضليلِ الإعلاميِّ:

واجهَ النبيُّ نوحٌ عليه السلام هذا التضليلَ الإعلاميَّ للملأِ من قومِه؛ وما تضمَّنَهُ من تشكيكٍ وافتراءٍ باطلَيْن؛ بحكمةٍ وبصيرةٍ وصبرٍ؛ مفنِّدًا إيّاهُ بالحكمةِ، والموعظةِ الحسنةِ، والجدالِ بالأحسنِ، وكاشفًا للناسِ زيفَ هذهِ الشكوكِ والافتراءاتِ بالدليلِ والحجّةِ، وبمنطقٍ قويٍّ، وأسلوبٍ مؤثّرٍ، وحوارٍ رصينٍ.

أ. دفعُ تهمةِ الضلالِ: فكيفَ يكونُ ضالًّا وهو مُرسَلٌ من اللهِ تعالى لهدايتِهم؟! ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [الأعراف: ٦١-٦٢].

ب. دفعُ دعوى الجنونِ: فكيفَ يكونُ مجنونًا وهو الذي أتاهم بالحججِ والبراهينِ الساطعةِ وتحدّاهم، وصدَرَ عن ثباتِ موقفٍ تجاهَهم بما لا يُعهَدُ صدورُهُ إلّا عن رجلٍ عاقلٍ وحكيمٍ؟! ﴿**مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ***

أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا * وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا * لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [نوح: ١٣-٢٠].

ج. دفعُ التشكيكِ بنبوّته: فكيفَ يتعجّبونَ من كونِه بشرًا مُرسَلًا وقد خلتْ من قبلِه الرسلُ من البشر؟: **﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾** [الأعراف: ٦٣].

د. دفعُ تهمةِ الرئاسةِ وطلبِ الجاهِ والمالِ: كيفَ يكونُ طالبًا للجاهِ والمالِ وهو لم يسألهُم ذلك، وأجرُهُ على اللهِ تعالى وحدَه؟! **﴿فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾** [يونس: ٧٢].

ه. دفعُ تهمةِ الكذبِ والافتراءِ: فكيفَ يكونُ كاذبًا ومفتريًا على اللهِ -تعالى-، وهو رسولُهُ المبرَّأُ من ذلك؟! وإنْ كانَ من افتراءٍ فهو يرجعُ عليه: **﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾** [هود: ٣٥]. والحالُ أنّ تكذيبَهم لهُ وهو على بيّنةٍ من ربّه ستكونُ نتيجتُه خسرانَهم وهلاكَهم عندما يتحقّقُ ما أنذرَهم منهُ: **﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾** [هود: ٢٨].

و. دفعُ دعوى التشكيكِ بصوابيّةِ دعوتِه: فكيفَ يُعابُ عليهِ بأنَّ أتباعَهُ من عوامِّ الناسِ وضعافِ الرأي، وهو قد جاءَ بالدعوةِ الإلهيّةِ الحقّةِ التي تستهدفُ الناسَ جميعًا، والتزمَ بتبليغِها من دونِ تمييزٍ أو استثناء؟! **﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ * وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ *... وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾** [هود: ٢٩-٣١].

ثانيًا: التضليلُ الإعلاميُّ في زمنِ النبيِّ هودٍ عليه السلام:

تحدّثَ القرآنُ الكريمُ عن السيرةِ الدعويّة للنبيِّ هودٍ عليه السلام؛ حيثُ أرسلهُ اللهُ تعالى إلى قومِه عادٍ، وكانَ على شريعةِ النبيِّ نوحٍ عليه السلام: ﴿**وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا...**﴾ [الأعراف: ٦٥]. ﴿**فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ**﴾ [المؤمنون: ٣٢].

وكانت عادٌ تقطنُ في الأحقافِ: ﴿**وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ**﴾ [الأحقاف: ٢١]، وهي منطقةٌ في جنوبِ جزيرةِ العربِ لا أثرَ لها اليوم. وقد اختُلِفَ فيها؛ فقيل: وادٍ بينَ عُمانَ ومَهرة، وقيل: رمالٌ فيما بينَ عُمانَ إلى حضرموت، وقيل: رمالٌ مُشرِفةٌ على البحرِ بالشِّحر من ساحلِ أرضِ اليمن، وقيل غيرُ ذلك.[1]

وكانوا موحِّدين، استخلفَهم اللهُ تعالى بعد قومِ نوحٍ عليه السلام، فأنعمَ عليهم بصنوفِ النِّعم من قوّةٍ واقتدارٍ في البدنِ والعُمران، ومن الرزقِ في الأولادِ والثمرات: ﴿**وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [الأعراف: ٦٩].

ثمّ استغرقوا في النِّعم ونسوا ذكرَ الله، فكفروا بأنعُمه: ﴿**أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ**﴾ [الشعراء: ١٢٨-١٣٠].

فأتاهم النبيُّ هودٌ عليه السلام ليذكّرَهم بالله واليومِ الآخرِ، ويدعوهم لعبادته تعالى وحدَه، وطاعته، وملازمةِ التقوى: ﴿**وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ**﴾ [الأعراف: ٦٥]، ﴿**إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾ [الشعراء: ١٣٥].

مبيّنًا لهم سبيلَ الرجوعِ إلى الحقِّ بالاستغفار، وما يترتّبُ على ملازمتِه من خيراتٍ وبركاتٍ، وعلى الإعراضِ عنه من خُسرانٍ مبين: ﴿**وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ**﴾ [هود: ٥٢].

---

١ - الفضل بن الحسن الطبرسي: مجمع البيان، ج٩، ص١٥٠.

١- موقفُ قومِ النبيِّ هودٍ عليه السلام من دعوته:

وقفَ قومُ النبيِّ هودٍ عليه السلام من دعوته موقفًا سلبيًّا، فتمادَوا في كفرِهم وتعنّتِهم وعبادتِهم الأوثانَ: ﴿**قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا**﴾ [الأعراف: ٧٠]، ولا سيّما كبارُ قومِه الكافرون بالله: ﴿**قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ**﴾ [الأعراف: ٦٦]، والمكذّبون بلقائه: ﴿**أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ * هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ * إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ**﴾ [المؤمنون: ٣٥-٣٧]، و[المؤمنون: ٣٣]، و[الشعراء: ١٢٩]. والظالمون الجبّارون: ﴿**وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ**﴾ [الشعراء: ١٣٠]، والغارقون في حبِّ الدنيا: ﴿**وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾ [المؤمنون: ٣٣]، ﴿**أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ**﴾ [الشعراء: ١٢٨].

٢- التضليلُ الإعلاميُّ لقومِ النبيِّ هودٍ عليه السلام:

مارسَ قومُ النبيِّ هودٍ عليه السلام تضليلاً إعلاميًّا على دعوةِ الحقِّ التي صدحَ بها نبيُّهم عليه السلام، فكالوا له صنوفَ التُّهمِ الباطلة، وواجهوه بالدعاوى الواهيةِ والتشكيكِ بها؛ ليصرفوا الناسَ عنه وعن دعوتِه بمكرٍ وخداعٍ. ومن هذه الشكوكِ والتُّهمِ والدعاوى الباطلة:

أ. دعوى السَّفاهةِ وخفّةِ العقلِ وضعفِ الرأي: ﴿**قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ**﴾ [الأعراف: ٦٦].

ب. اتّهامُه بالكذبِ والافتراءِ: ﴿**وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**﴾ [الأعراف: ٦٦]، ﴿**إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ**﴾ [المؤمنون: ٣٨].

ج. اتّهامُه بطلبِ الجاهِ والمالِ والرئاسةِ: ﴿**يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا**﴾ [هود: ٥١].

د. التشكيكُ في نبوّتِه واتّصالِه بعالمِ الغيب؛ لبشريّتِه وعدمِ فضلِه وامتيازِه عليهم: ﴿**أَوَعَجِبْتُمْ**

﴿أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ﴾ [الأعراف: ٦٩].

ه. دعوى مسِّه بالسوءِ من آلهتِهم: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ [هود: ٥٤].

٣- سُبُلُ مواجهةِ النبيِّ هودٍ عليه السلام للتضليلِ الإعلاميِّ:

واجهَ النبيُّ هودٌ عليه السلام التضليلَ الإعلاميَّ للملأِ من قومِه، وردَّ تهمَهم وفنَّدها بالدليلِ والحجّةِ، والموعظةِ الحسنةِ، والجدالِ بالأحسنِ.

أ. دفعَ دعوى السَّفاهة: فكيفَ يكونُ سفيهًا وهو ناصحٌ لهم، أمينٌ عليهم، وهم لم يعهدوا منه غيرَ ذلك؟! ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: ٦٧-٦٨].

ب. دفعَ تهمةَ الكذبِ والافتراءِ: فكيفَ يكونُ كاذبًا في دعواه وهو مُرسَلٌ إليهم من ربِّهم لهدايتِهم، والحالُ أنّهم هم المفترون في دعواهُم الألوهيّةَ والعبادةَ لمن هم دونَ اللهِ تعالى؟! ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٢٥]، ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ [الأعراف: ٦٥].

ج. دفعَ تهمةَ الرئاسةِ وطلبِ الجاهِ والمال: فكيفَ يكونُ طالبًا للجاهِ والمال، وهو لم يسألْهم أجرًا على دعوتِه؟! ﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [هود: ٥١].

د. دفعَ التشكيكَ بنبوّتِه: فكيفَ يتعجّبون من كونِه بشرًا مثلَهم، وقد خلتِ الرسلُ من قبلِه من البشرِ؟! ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ * وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ...﴾ [الأعراف: ٦٩].

ه. دفعَ دعوى مسِّه بسوءٍ من آلهتِهم: فكيفَ يمسُّه سوءٌ من آلهتِهم، والحالُ أنّ اللهَ تعالى

يرجعُ إليه الأمرُ كلُّه؟! فلا خوفَ عليه من مكرِهم، وسوفَ يأتيهم منه تعالى عذابٌ غيرُ مردودٍ، ﴿**إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ۗ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ* مِن دُونِهِ ۖ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ* إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ [هود: ٥٤-٥٦].

ثالثًا: التضليلُ الإعلاميُّ في زمنِ النبيِّ صالحٍ عليه السلام:

بعدَ إهلاكِ الله -تعالى- قومَ عادٍ، استخلفَ من بعدِهم قومَ ثمودَ: ﴿**وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ**﴾ [الأعراف: ٧٤]. وكانوا يسكنون في منطقةٍ تُسمّى بالحِجْر شماليَّ وادي القُرى، فيما بين الحجازِ والشام[1]، فأنعمَ اللهُ عليهم بصنوفِ نِعَمِه وأمدَّهم بالقوّة ورزقَهم من الثمراتِ، فعاشوا في أمنٍ ورخاءٍ وازدهارٍ حضاريٍّ وعمرانيٍّ. ولكنَّهم فرحوا بما أُوتوا واغترّوا بأنفسِهم فنسوا ذكرَ الله، وكفروا بأنعُمِه، وأصبحوا من المسرفين المفسدين في الأرضِ: ﴿**أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ * وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ**﴾ [الشعراء: ١٤٦-١٥٢].

فأرسلَ اللهُ تعالى إليهم نبيَّهم صالحًا عليه السلام: ﴿**وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا**﴾ [الأعراف: ٧٣]؛ ﴿**إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ**﴾ [الشعراء: ١٤٢]. وكان على شريعةِ النبيِّ نوحٍ عليه السلام، ليدعوَهم إلى الله تعالى ويُرجِعَهم إلى ميثاقِ فطرته التوحيديّة. فاجتهدَ النبيُّ صالحٌ عليه السلام في دعوتِهم؛ حيثُ ذكّرَهم بنعَمِ الله تعالى عليهم: ﴿**هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**﴾ [هود: ٦١]، ﴿**وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ**﴾ [الأعراف: ٧٤].

١ - محمد بن جرير الطبري: تاريخ الطبري، ج١، ص١٥٨.

ودعاهم إلى عبادته تعالى وحدَه، وطاعته، وتقواه: ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**﴾ [الأعراف: ٧٣]، ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ**﴾ [الشعراء: ١٤٤]. وإلى الرجوعِ إليه -تعالى- بالاستغفارِ والتوبة: ﴿**فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ**﴾ [هود: ٦١]، ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ [النمل: ٤٦]. ونهاهم عن الإفسادِ في الأرضِ: ﴿**وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾ [الأعراف: ٧٤].

١- موقفُ قومِ النبيِّ صالحٍ عليه السلام من دعوته:

رفضَ قومُ النبيِّ صالحٍ عليه السلام دعوتَهُ الحقَّةَ، فأعرضوا عنها، وشكَّكوا وكذَّبوا بها:﴿**قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ**﴾ [هود: ٦٢].

وقد حملَهم الطغيانُ وتجاوزُ الحدودِ الإلهيَّةِ على التكذيبِ بها:﴿**كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا**﴾ [الشمس: ١١]، ولا سيَّما كبراءُ قومِه الذين استرسلوا في الاستكبارِ والإفساد: ﴿ **قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ**﴾ [الأعراف: ٧٥]، ﴿**وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ**﴾ [النمل: ٤٨].

٢- التضليلُ الإعلاميُّ لقومِ النبيِّ صالحٍ عليه السلام:

واجهَ النبيُّ صالحٌ عليه السلام تضليلاً إعلاميًّا كبيراً من قومِه وكبرائِهم، الذين كالوا له صنوفَ التهمِ الباطلةِ، وجادلُوه بغيرِ الحقِّ، وشكَّكوا في نبوَّتِه ودعوتِه بمكرٍ وخداعٍ؛ ليصرفوا الناسَ عن الاستجابةِ له.

ومن دعاويهم وتهمِهم الباطلةِ:

أ. اتّهامُه بالكذبِ: ﴿وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [هود: ٦٢].

ب. دعوى إصابتِه بالجنونِ بفعلِ السحرِ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَا﴾ [الشعراء: ١٥٣].

ج. اتّهامُه بطلبِ الرئاسةِ والمالِ والجاهِ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الشعراء: ١٤٥].

د. دعوى عدمِ نبوَّتِه، لبشريتِه وعدمِ فضلِه وامتيازِه عليهم: ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ [الشعراء: ١٥٤].

ه. دعوى أنَّه ومن آمنَ معه مصدرُ مصائبِهم ومحنِهم: ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ﴾ [النمل: ٤٧].

٣- سُبُلُ مواجهةِ النبيِّ صالحٍ عليه السلام للتضليلِ الإعلاميِّ:

واجهَ النبيُّ صالحٌ عليه السلام قومَه، ولا سيَّما الملأَ منهم، بحكمةٍ وبصيرةٍ نافذةٍ، فنَّدَ بها تهمَهم ووَهَّنَ حججَهم ودعاويَهم الباطلةَ.

أ. دفعُ تهمةِ الكذبِ والافتراءِ: فكيف يكون كاذبًا، وهو رسولٌ أمينٌ مُرسَلٌ إليهم من ربِّهم؟!﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٤٣].

ب. دفعُ دعوى الجنونِ: فكيف يكون مجنونًا، وقد جاءَهم بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ، وهم يشهدون له بالفضلِ والرشدِ؟! ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا﴾ [هود: ٦٢].

ج. دفعُ تهمةِ طلبِ الرئاسةِ والجاهِ والمالِ: فكيف يكون طالبًا للرئاسةِ والجاهِ والمالِ، وهو لم يسألْهم ذلك، وأجرُه على اللهِ تعالى وحدَه؟! ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٤٥]

د. دفعُ دعوى عدمِ نبوَّته: فكيف يتعجَّبون من نبوَّته واتصاله بالغيبِ مع كونه بشرًا مثلَهم وقد خلتِ الرسلُ من قبله، وهو على بيِّنةٍ من ربِّه؟! ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ**﴾ [هود: ٦٣].

ه. دفعُ دعوى أنَّه ومن معه سببُ بلائهم: فكيف يتشاءمون منه وممَّن آمنَ معه على ما يصيبُهم من محنٍ وبلايا؛ والحالُ أنَّهم لم يُدركوا أنَّ اللهَ -تعالى- الذي بيده جميعُ الأسبابِ وإليه تنتهي، أراد اختبارَهم وامتحانَهم؟! ﴿**قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ**﴾ [النمل: ٤٧].

رابعًا: التضليلُ الإعلاميُّ في زمنِ النبيِّ موسى عليه السلام:

النبيُّ موسى عليه السلام من أنبياءِ الله -تعالى- الذين اصطفاهُم بالرسالةِ وجعلَه من أولي العزمِ من الرسلِ، ﴿**قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ**﴾ [الأعراف: ١٤٤].

وخصَّه بشريعةِ التوراةِ، ومن خصائصِها أنّها هُدىً ونورٌ: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ**﴾ [المائدة: ٤٤].

وأنّها تتضمَّن بيانًا وتفصيلاً للعقائد، والقيم، والأخلاق، والتشريعات، والحقوق ﴿**وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ**﴾ [الأعراف: ١٤٥].

وأنّها تشهدُ وتبشِّر بالشرائعِ اللاحقة، ولا سيَّما شريعةَ خاتمِ الرسلِ وسيِّد الأنام ﷺ ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ**﴾ [الأعراف: ١٥٧].

١- موقفُ فرعونَ وقومِه من دعوةِ النبيِّ موسى عليه السلام:

واجهَ النبيُّ موسى عليه السلام في دعوتِه ثلاثيَّ الكفرِ والجحودِ؛ وهم: (فرعونُ) ممثِّلاً لتسلّطِ الحكمِ وبطشِه، و(هامانُ) لخداعِ السياسةِ وتحكّمِها برقابِ الناسِ، و(قارونُ) لاحتكارِ المالِ والاقتصادِ. فكذَّبوه وكالوا له صنوفَ التهمِ الباطلةِ والزائفةِ ليصدّوا الناسَ عن دعوتِه، ولمّا يئسوا من ذلك همّوا بقتلِه ومن آمنَ معه، فواجهوه بالتهديدِ ﴿**قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ**﴾ [الشعراء: ٢٩].

فتحدّاهم بقدرتِه على الإتيانِ بالبيِّنةِ﴿**قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ**﴾ [الشعراء: ٣٠]، فطلبوا منه الإتيانَ بها إنْ كان صادقًا في دعواه ﴿**قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**﴾ [الشعراء: ٣١].

فأتاهم بها، وألقى عصاه فإذا هي ثعبانٌ كبيرٌ مهيبٌ: ﴿**فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ** ﴾ [الشعراء: ٣٢]، وأخرج يدَه فإذا هي بيضاءُ تسطعُ بالنورِ﴿**وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ** ﴾ [الشعراء: ٣٣].

ولكنّهم مع ذلك لم يؤمنوا له وكذَّبوا بدعوتِه: ﴿**وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ**﴾]يونس: ٧٨]، ﴿**وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى**﴾ [طه: ٥٦].

وبعد أن عزموا على قتلِه ومن آمنَ معه، أنجاه اللهُ تعالى منهم، وأظهر الحقَّ ونصر أهلَه، وأدحض الباطلَ وخذل أهلَه، وردَّ كيدَهم وعذَّبهم في الدنيا والآخرةِ، انظر: [غافر: ٢٣-٢٥]، [القصص: ٥-٦، ٧٦-٨٢].

٢- التضليلُ الإعلاميُّ لفرعونَ وقومِه:

أظهر فرعونُ وكبارُ قومِه استخفافًا وجهلاً بدعوةِ النبيِّ موسى عليه السلام ﴿**فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ**﴾]الزخرف: ٤٧]، محاولين بذلك صرفَ الناسِ عنه وعن دعوتِه.

وأثاروا في وجهِهِ الشكوكَ، وعيَّروه بما فعلَه من قتلِ القبطيِّ، وبعدم حفظِهِ للجميلِ بتربيتِهِ ورعايتِهِ في كنفِ فرعونَ؛ حتى إذا ما شبَّ أراد تقليبَ الأمورِ عليه ومنازعتَه مُلكَه! انظر: [الشعراء: ١٨-٢٨]، [طه: ٤٩-٥٥]، [القصص: ٣٦-٣٧]

وقد عملوا على تضليلِ الناسِ والاستخفافِ بعقولِهم؛ فزعمَ فرعونُ أنّه ربُّهم الأعلى، وأنّه بيدِهِ القوّةُ والمقدَّراتُ التي تكفل سعادتَهم؛ بخلافِ موسى الضعيفِ المهينِ! وأنّه لا يريهم إلّا سبيلَ الرشادِ والصلاحِ: فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى [النازعات: ٢٤]، وانظر: [الزخرف: ٥١-٥٤]، [غافر: ٢٩]

بل عمد فرعونُ إلى تضليلِ الناسِ وصرفِهم عن مقولةِ مؤمنِ آلِ فرعونَ ﴿**وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ**﴾ [غافر: ٢٨].

فأمر وزيرَه (هامانَ) ببناءِ برجٍ عالٍ ليرتقيَه باحثًا عن إلهِ موسى عليه السلام، مع حكمِهِ المسبقِ بكذبِ موسى عليه السلام في دعواه، انظر: [القصص: ٣٨-٣٩].

ومن الاتهاماتِ والدعاوي الباطلةِ والواهيةِ التي أثاروها:

أ. دعوى ضعفِ مكانتِه الاجتماعيّةِ وعدم سلامةِ بيانِهِ القوليِّ ﴿**أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ**﴾ [الزخرف: ٥٢].

ب. اتّهامُه بالكذبِ: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ * إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ**﴾ [غافر: ٢٣-٢٤].

ج. دعوى صدِّهِ عن سيرةِ آبائِهم: ﴿**قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا**﴾ [يونس: ٧٨].

د. اتّهامُه بطلبِ السلطةِ والجاهِ﴿**وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ**﴾ [يونس: ٧٨]

ه. دعوى أنّه ومن آمنَ معه سببُ ابتلائِهم ومعاناتِهم ﴿**فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [الأعراف: ١٣١].

و. دعوى أنّه ساحرٌ﴿**فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ**﴾ [يونس: ٧٦].

٣- سُبُلُ مواجهةِ النبيِّ موسى عليه السلام للتضليلِ الإعلاميِّ لفرعونَ وقومِه:

واجهَ النبيُّ موسى عليه السلام ثلاثيَّ الكفرِ والجحودِ بحكمةٍ وبصيرةٍ نافذتين، فأجابَهم بأنَّ ما أتى به هو الحقُّ، وليس سحرًا: ﴿**قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ**﴾ [يونس: ٧٧]، وحذَّرَهم من عذابِ الاستئصالِ إذا ما أصرّوا على كفرِهم وجحودِهم: ﴿**قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى**﴾ [طه: ٦١].

وقد أشارَ أعوانُ (فرعونَ) عليه بأنْ يجمعوا له السحرةَ الماهرين من أرضِ مصر ليتحدّى بهم موسى عليه السلام، انظر: [طه: ٦٢-٦٤]، [الأعراف: ١٠٩-١١٢]، [الشعراء: ٣٤-٣٧]؛ فأُعجبَ فرعونُ بفكرتِهم، وطلبَ منهم جمعَ جميعِ السحرةِ لتحدّي موسى عليه السلام: ﴿**وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ**﴾ [يونس: ٧٩]. فلمّا جاءَه السحرةُ طلبَ منهم أنْ يتحدّوا موسى عليه السلام بأعظمَ ممّا أتى به، فاستجابوا له وطلبوا الحظوةَ عنده، فتعهّدَ لهم بذلك. انظر: [الأعراف: ١١٣-١١٤]. ثمّ اختارَ فرعونُ أنْ يجمعَ الناسَ في يومٍ يكون عيدًا من أعيادِهم؛ وهو يومُ الزينةِ ليشهدَ الناسُ جميعًا غلبةَ فرعونَ على موسى عليه السلام: ﴿**فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ * وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ * لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ**﴾ [الشعراء: ٣٨-٤٠].

ولمّا جُمِعَ الناسُ، طلبَ السحرةُ من موسى ﷺ إلقاءَ عصاه أو أنْ يكونوا هم الملقين لحبالِهم أوّلًا: ﴿**قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ**﴾ [الأعراف: ١١٥]. فأجابَهم بأنْ يُلقوا حبالَهم أوّلًا: ﴿**قَالَ أَلْقُوا**﴾ [الأعراف: ١١٦]. فلمّا ألقوا حبالَهم سحروا أعينَ الناسِ وجعلوهم يتخيّلون أنَّها تتحرّك: ﴿**فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ**﴾ [الأعراف: ١١٦]. فخافَ موسى ﷺ في نفسه من افتتانِ الناسِ بهم، وأشفقَ من غلبةِ الجهّالِ والضلّال[1]: ﴿**فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى**﴾ [طه: ٦٧]. ودعا اللهَ -تعالى- أنْ يُبطلَ سحرَهم ويردَّ كيدَهم ومكرَهم: ﴿**فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ * وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ**﴾ [يونس: ٨١-٨٢].

ثمّ أمرَه اللهُ تعالى بإلقاءِ عصاه، انظر: [طه: ٦٨-٦٩]، وانظر: [الأعراف: ١١٧]. فلمّا ألقاها تحوّلتْ إلى ثعبانٍ كبيرٍ مهيبٍ، أخذَ يلقفُ ما ألقاه السحرةُ جميعُه، انظر: [الأعراف: ١١٧-١١٩]. فتعجّبَ السحرةُ من ذلك، وأيقنوا أنَّ ما فعله موسى ﷺ ليس سحرًا، بل آية ربّانية مُعجزة، فخرّوا سُجّدًا لله مؤمنين ومذعنين بدعوةِ موسى ﷺ: ﴿**وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ**﴾ [الأعراف: ١٢٠-١٢٢].

فلمّا رأى فرعونُ منهم ذلك، توعّدَهم بالعذابِ، انظر: [الأعراف: ١٢٣-١٢٤]، [طه: ٧١]. ولكنّهم لم يكترثوا لتهديداته، وتوجّهوا بالانقطاعِ إلى ربِّهم: ﴿**قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ * وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ**﴾ [الأعراف: ١٢٥-١٢٦]. فما كان من فرعونَ إلّا أنْ أمرَ بصلبِهم وتقطيعِ أيديهم وأرجلِهم من خلاف!

١ - انظر: الشريف الرضي: نهج البلاغة، ج١، خطبة ٤، ص٣٩.

٤- التضليلُ الإعلاميُّ لـ (السامريِّ) ومواجهةُ النبيِّ موسى عليه السلام له:

لمّا ذهبَ النبيُّ موسى عليه السلام إلى الميقاتِ الذي طالَ غيابُه فيه أربعينَ ليلةً، قامَ (السامريُّ) بصنعِ عجلٍ من ذهبٍ وجعلَ له خُوارًا، فافتتنَ به بنو إسرائيل وعبدوه من دونِ اللهِ تعالى: ﴿**وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ * ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ [البقرة: ٥١-٥٢].

وقد حاولَ النبيُّ هارون عليه السلام ردعَهم عن فعلتِهم، وبالغَ في تنبيههم على خطورةِ ما قاموا به من كفرٍ، ولكنّهم لم يطيعوا أوامرَه، انظر: [طه: ٩٠-٩١]. وقد أوحى اللهُ تعالى لموسى عليه السلام ارتدادَ قومِه وعبادتَهم العجلَ، فرجعَ موسى عليه السلام من الميقات، انظر: [طه: ٨٣-٨٥]. فوجدَهم عاكفين على عبادةِ العجلِ فغضبَ من فعلهم هذا: ﴿**وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ**﴾ [الأعراف: ١٥٠].

فأجابوه بأنَّهم افتتنوا بما صنعَ لهم (السامريُّ) من الذهبِ الذي حملوه معهم من أرضِ مصر، انظر: [طه: ٨٧-٨٩]. ثمّ عاتبَ أخاه هارون عليه السلام على عدمِ اتّخاذِه الموقفَ الحاسمَ من ارتدادِهم: ﴿**وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ**﴾ [الأعراف: ١٥٠]. فأجابه هارون عليه السلام بأنَّه بذلَ جهدَه في نصحِهم ومنعِهم عن فعلتِهم، حتى همّوا يريدونَ قتلَه لإنكارِه ذلك عليهم، وخشيَ أنْ تقعَ الفرقةُ بين بني إسرائيل. انظر: [الأعراف: ١٥٠]، [طه: ٩٢-٩٤].

فقبلَ موسى عليه السلام عذرَه، ودعا له: ﴿**قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾ [الأعراف: ١٥٠]. ثمّ سألَ موسى عليه السلام (السامريَّ) عن عملِه الشيطانيِّ: ﴿**قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ**﴾ [طه: ٩٥]. فأجابَه بأنَّه قد سوَّلت له نفسُه ذلك وافتتنَ به: ﴿**قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي**﴾ [طه: ٩٦].

فقضى عليه بالطردِ والإبعادِ عن المجتمع: ﴿**قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ**﴾ [طه: ٩٧]، وبحرقِ العجلِ وذرِّيه في البحر: ﴿**وَانْظُرْ إِلَى**

إِلَهِكَ الَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِى الْيَمِّ نَسْفًا﴾ [طه: ٩٧].

ولمّا وقفَ الذين عبدوا العجلَ عند ظلمِهم، ندموا على فعلتِهم وتوجّهوا إلى الله -تعالى- بطلبِ العفوِ والمغفرة: **﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِى أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾** [الأعراف: ١٤٩]. فقضى اللهُ -تعالى- فيهم القتلَ شرطًا لقبولِ توبتِهم، فكان كلُّ رجلٍ لم يعبد العجلَ يتولّى قتلَ رجلٍ ممّن عبدوا العجلَ: **﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِى الْمُفْتَرِينَ﴾** [الأعراف: ١٥٢]، وانظر: [البقرة: ٥٤]. وبعد أنْ قُتِلَ جمعٌ منهم، عفا اللهُ -تعالى-عن الباقين: **﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** [الأعراف: ١٥٣].

خامسًا: التضليلُ الإعلاميُّ في زمنِ النبيِّ محمّد ﷺ:

كان أوّلُ مَن أسلمَ للنبيِّ ﷺ من النساءِ زوجتَه (خديجة) عليها السلام، ومن الرجالِ ابنَ عمِّه (عليّ بن أبي طالب) عليه السلام [1]. وقد أمرَ اللهُ تعالى نبيَّه ﷺ بالصدعِ بالرسالةِ وإظهارِها للعلنِ والقيامِ بتبليغِها: **﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾** [الحجر: ٩٤]. والابتداءُ بعشيرتِه الأقربين في العامِ الثالثِ لبعثتِه الشريفة: **﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾** [الشعراء: ٢١٤]. ثمّ بأهلِ مكّة وما حولَها: **﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِى الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى السَّعِيرِ﴾** [الشورى: ٧]. ثمّ بتبليغِ العالمين وإنذارِهم: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾** [الأنبياء: ١٠٧].

١ - الفضل بن الحسن الطبرسي: مجمع البيان، ج٥، ص١١٢؛ ابن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب عليه السلام، ج١، ص. ص ٢٨٨-٢٩٥.

١- موقفُ قومِ النبيِّ محمّد ﷺ من دعوته:

بعد أنْ ظهرتِ الدعوةُ الإسلاميّةُ إلى العلن، بدأ كفّارُ (قريش) ومشركوها بالتضييقِ على النبيِّ محمّد(ص) ومَن آمنَ معه، ولا سيّما كبارُهم الذين سخروا من النبيِّ ﷺ واستهزؤوا به: ﴿**وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولا**﴾ [الفرقان: ٤١]. وكفروا بدعوته، وحاربوه، إلى أنْ نصرَه اللهُ تعالى عليهم بفتحِ مكّة: ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا**﴾ [الفتح: ١].

٢- التضليلُ الإعلاميُّ لقومِ النبيِّ محمّد ﷺ:

تمسّكَ مشركو قريش بتقليدِهم الأعمى لآبائِهم في عبادةِ الأصنامِ والأوثان: ﴿**إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا...**﴾ [الفرقان: ٤٢]. وبذلوا جهدَهم في صدِّ الناسِ عن دعوته بإثارةِ الشبهاتِ وبثِّ الدعاوي الباطلةِ والافتراءِ على النبيِّ ﷺ. ومن الشبهاتِ والدعاوي والافتراءات:

أ. إنكارُ التوحيد: ﴿**أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ**﴾ [ص: ٥].

ب. إنكارُ الوحيِ والنبوّة: ﴿**أَؤُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا**﴾ [ص: ٨].

ج. إنكارُ المعاد: ﴿**قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**﴾ [المؤمنون: ٨٢-٨٣].

د. اتّهامُه بالكذبِ والافتراءِ: ﴿**وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ**﴾ [ص: ٤].

ه. دعوى إصابتِه بالجنون: ﴿**نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا**﴾ [الإسراء: ٤٧].

و. اتّهامُه بطلبِ الجاهِ والسلطة: ﴿**قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ**﴾ [ص: ٨٦].

ز. دعوى أنَّه ساحر: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٤-٥].

ح. دعوى الكهانةِ والضربِ بالغيب: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ﴾ [الطور: ٢٩].

ط. دعوى أنَّه شاعر: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠].

٣- سُبُلُ مواجهةِ النبيِّ محمّد ﷺ للتضليلِ الإعلاميِّ:

صبرَ النبيُّ محمّد ﷺ على أذى قومِه محتسبًا في جنبِ اللهِ تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٧-٩٩]. وواجهَهم بحكمةٍ وبصيرةٍ نافذتين، سالكًا منهجَ الدعوةِ إلى اللهِ تعالى بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ والجدالِ بالأحسن: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥]. فبذلَ بالغَ الجهدِ في دعوةِ الناسِ إلى اللهِ تعالى، من منطلقِ حرصِه على مصلحتِهم ورأفتِه ورحمتِه بهم: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

حتّى كان ليحزنَ كثيراً من كفرِ بعضِهم وإعراضِهم عن الحقّ: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣]. ولم يكنْ ليهادنَ أحدًا أو يساومَه في دعوتِه إلى الحقّ: ﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ * وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٨-٩].

وقد ردَّ جميعَ دعاويهم وشبهاتِهم وافتراءاتِهم:

أ. دفعَ دعوى إنكارِ التوحيد: فردَّ شبهتَهم على التوحيد باستحالةِ وجودِ أكثرَ من إله، وكونه -تعالى- أحديَّ الذاتِ، وحدتُه قهّاريّةٌ تنفي تصوّرَ كلِّ شريكٍ مفترض: ﴿لَوْ كَانَ

﴿فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢]، ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ...﴾ [البقرة: ١٦٣].

ب. دفعَ دعوى إنكارِ الوحي والنبوّة: بأنّ الوحيَ ممكنٌ عقلاً وواقعٌ فعلاً فيه وفي غيرِه من الأنبياءِ السابقين عليهم السلام، وبأنّ الحكمةَ الإلهيّةَ تقتضي أن يكونَ الرسولُ الموحى إليه من جنسِهم ليتحقّقَ التبليغُ والإنذار: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ...﴾ [الكهف: ١١٠].

ج. دفعَ دعوى إنكارِ المعاد: بأنّ اللهَ تعالى قادرٌ عليه وعالمٌ بهم وحافظٌ لهم: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ [ق: ٤]، ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [لقمان: ٢٨]. وكون المعاد من لوازمِ هدفيّةِ الخلق: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]. وكونه تعالى الحقَّ المطلق: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج: ٦-٧]. وأنَّ نظامَ التكوين يُرشد إليه: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحج: ٥-٦]. وأنّه مقتضى العدل الإلهيّ: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨]. وأنّه مقتضى تحقّق الوعد والوعيد: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ* خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ [البقرة: ١٦١-١٦٢]. وأنّه مقتضى الرحمة الإلهيّة: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الأنعام: ١٢]. وأنّه مقتضى ختم مسيرةِ التكاملِ الإنسانيّ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ

خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٦]. وأنّه مقتضى الربوبيّة: **﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾** [الإنشقاق: ٦].

د. دفعَ تهمةَ الكذبِ والافتراءِ: بأنّه قد جاءَهم بالحقِّ من ربِّهم، وهو أمينٌ على هدايتِهم لا يبخلُ عليهم بشيءٍ ممّا أُوحي إليه، ولا يكتمُه ولا يغيّرُه. وهم لم يعهدوا منه إلّا الصدق، وقد لبثَ فيهم عُمرًا ولم يعهدوا منه الإتيانَ بمثلِ هذا الكلامِ المعجز: **﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾** [الشورى: ٢٤].

ه. دفعَ دعوى الجنون: بأنّ ما أتاهم به من بيانِ حقٍّ وحكمةٍ لا يصدرُ عن مجنون، والحالُ أنّهم أنفسَهم كانوا يشهدون له برجاحةِ العقلِ وسدادِ الرأي قبلَ دعوتِه فيهم: **﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾** [الأعراف: ١٨٤].

و. دفعَ تهمةَ طلبِ المالِ والجاه: بأنّه لم يسألْهم أجرًا على تبليغِه للرسالة: **﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾** [ص: ٨٦].

ز. دفعَ دعوى السحر: بأنّ ما جاءَهم به هو آياتٌ بيّناتٌ معجزةٌ من ربِّهم: **﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾** [العنكبوت: ٤٩].

ح. دفعَ دعوى الكهانةِ والشعر: بأنّه جاءَهم من عندِ اللهِ تعالى بالحقِّ الذي ليس من سنخِ الشعرِ وأباطيلِ الشعراء، وليس من تخرّصاتِ الكهَنة: **﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** [الحاقة: ٤٠-٤٣].

خاتمة

لقد كان إعراضُ الأقوامِ البشريّةِ، ولا سيّما الملأُ منهم، عن دعوةِ الأنبياء عليهم السلام وتكذيبُهم بها، سنّةً من السننِ الجاريةِ في الاجتماعِ البشريّ؛ ﴿**وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ**﴾ [الأنعام: ٣٤].

وكذلك ممارستُهم التضليلَ الإعلاميّ في مواجهةِ الأنبياءِ عليهم السلام بالتُّهَمِ الزائفةِ والباطلةِ والافتراءاتِ هو ـ أيضًا ـ من السننِ الجاريةِ في الاجتماعِ البشريّ.

وما زال هذا الإعراضُ والمعاندةُ للحقّ، وهذا التضليلُ الإعلاميّ جاريَين وحاضرين في واقعِنا المعاصر، في صراعِ الحقّ والباطل، الذي لن يُوفِّر فيه أهلُ الباطل جهدًا ولا طاقةً ولا وسيلةً إلّا وتوسّلوا بها في مواجهةِ أهلِ الحقّ وصَدِّهم عنه؛ ﴿**قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلا**﴾ [الإسراء: ٦٢].

ومن هنا، لا بُدَّ من استلهامِ الدروسِ والعِبَرِ من الأنبياءِ عليهم السلام في مواجهتِهم لهذا التضليلِ الإعلاميّ، بالحكمةِ والدليلِ والبصيرةِ، والوعيِ بمخطّطاتِ أهلِ الباطل، والعملِ على تحويلِ تهديداتِهم وتضليلِهم إلى فُرَصٍ لكَشفِ باطلِهم وزَيفِهم.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، قم، مطبعة سليمانزاده، طليعة النور، ط٢، ١٤٢٧هـ. ق.
- هربرت شيلر: المتلاعبون بالعقول، الكويت، عالم المعرفة، ط٢، ١٩٩٩م.
- عبد الرزّاق الديلمي: الدعاية والإرهاب، الأردن، دار جرير، لا ط، لا ت.
- فرانسوا جيريه: قاموس التضليل الإعلامي، باريس، أرمان كولان، لا ط، ٢٠١١م.
- الفضل بن الحسن الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحقّقين، بيروت، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، ط١، ١٤١٥هـ. ق/ ١٩٩٥م.
- محمد بن الحسين بن موسى (الشريف الرضي): نهج البلاغة (الجامع لخطب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ورسائله وحكمه)، شرح: محمد عبده، قم المقدّسة، دار الذخائر، مطبعة النهضة، ط١، ١٤١٢هـ.ق.
- محمد بن جرير الطبري: تاريخ الطبري، مراجعة وتصحيح وضبط: نخبة من العلماء، بيروت، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، ط٤، ١٤٠٣هـ. ق/ ١٩٨٣م.
- محمد بن علي (ابن شهرآشوب): مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، تصحيح وشرح ومقابلة: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، النجف الأشرف، المكتبة الحيدريّة، لا ط، ١٣٧٦هـ. ق/ ١٩٥٦م.
- محمد عبد القادر حاتم: الإعلام والدعاية.. نظريات وتجارب، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٣، ١٩٩٤م، ١٩٩٤.